المولد

ع | مطوية رقم (٢) | مسلسل رقم (١١٨) ٢٠١٨

مبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن تذكُّر نِعَمِ الله والتذكِير بها مَطلب شرْعي مهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. [إبراهيم:٥]

وقال الإمام ابن عطية في تفسير قوله تعالى-الآية التالية- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ..﴾ [إبراهيم:٦]: «هذا من التذكير بأيّام الله في النِّعَم، وكان يوم الإنجاءِ عظيمًا لعِظَمِ الكائن فيه».اهـ

إذا علِمنا هذا فإن من أعظم أيّام الدنيا وأوْقاتِها في حقّ الأمّة هو اليوم الذي وُلِدَ فيه الحبيب الأعظم -صلى الله عليه وآله وسلم- وقد ذكروا أن شهر المَوْلد الشّريف -وما فيه من وقت المولد- من الأوقات التي ينبغي للمؤمن الاعتناء فيها بالعمل الصالح، فحُقَّ لأمته أن تُحيي ذكرى مولده؛ إذ ولادة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- هي أعظم نِعْمة علينا، وإذا كان يوم الإنجاء عظيمًا، وأمر الله تعالى قوم موسى بتذكُّره، بل نُدبنا نحن معشر الأمة المحمدية بصوم عاشوراء؛ لأنه اليوم الذي حصل فيه الإنجاء، فوقْت المولد أوْلى بتذكُّره من هذه الجهة، لأن النعمة فيه أعظم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، قال سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في أحد التفسيرات المروية عنه: « فَضْل الله: العِلْم، وَرَحْمَته: محمدﷺ»[1].

1 - زاد المسير لابن الجوزي (3\336)، والدر المنثور للسيوطي (4\367)

وللمؤمن في شـهر ربيع الأول شـؤون وشـجون، بـل قبل دخول الشهر وهو يَشْتَمُّ نسـائمَ ربيع الأول، ويتشوَّق إلى أيّامه ولياليه؛ لأنّهـا تُذكّـره حبيبـه -صلى اللـه عليه وآله وسـلم- وهـذا المعنى موجود في الفِطَرِ البشـريّة أنّ للأزْمَان والأمَاكن تأثيرًا على النّفس إنْ كانَ لهـا نوع ارتباط بمَن تحبّه النفس، ونبّهنا رسـول الله -صلى اللـه عليه وآله وسـلم- إلى هـذا المعنى وربطـه بالترجمة عن هذا الفـرح بالتقرّب إلى الله تعالى بالعبادة شـكرًا لـه؛ فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أنه -صلى الله عليه وآله وسلم- سُئِلَ عن صوْمِ يوم الإثنين فقال: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ»[1].

فهـذا اليـوم هو الذي ظهـرت فيه لنـا أعظم نعمة، نعمـة الحبيب الأعظم -صلى الله عليه وآله وسـلم- ومنهـا تفرّعت نعمة الهداية وأشرقت أنوارها، فأصبح هذا اليوم فجرَ الهداية للبشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ولمّا لمح هذا المعنى سيدنا العباس رضي الله عنه قال - فيما رواه الطبراني والحاكم في قصيدته التي مدح فيها رسول الله:

“ وَأنتَ لَمّا وُلِدتَ أشرَقَتِ الأرضُ وَضاءَت بِنورِكَ الأُفُقُ ”

فنحنُ في ذلكَ الضِّياءِ وفي النُّورِ، وسُبلَ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ

فيومه فضيل، وشهره مُذَكِّرٌ بالنِّعمة، وحق المؤمن أن ينتهض فيه لشكْر الله عليها بأنْ يُرَدّد شمائلَ النبيّ -صلى الله عليه وآله وسلم- فـي بيتِه، وعنـد أصدقائه، وفي عملـه؛ امتثالًا لأمْـر الله تعالى: ﴿وَاذْكُـرُواْ نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمـران:٣. ١]، و﴿ فَاذْكُرُواْ آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:٦٩] وغيرها من الآيات.

1 - رواه مسلم

وفي تذكر هذه النعمة -مع ما فيها من مشاعر جياشة للمؤمن- حَثٌّ للمتذكر أن يقتدي بمحبوبه، وأن يتخلَّق بشمائله ويتّصف بأوصافه، فمَنْ أَحَبّ أَحَدًا اتّبعه وأطاعه طواعية من غير تكلّف، فاستثارة مشاعر الحب للنبي -صلى الله عليه وآله وسلم- تُسَهّلُ للمُؤْمِن بل تدفعه دفعًا لتحسين سلوكه، وإتقان عمله إرضاءً لمحبوبه.

إذا خرج من بيته تذكّر أن رسولَ الله يخرج بالرجل اليسرى فيقتدي به، وتذكر أن رسول الله كان يدعو بدعاء الخروج فيدعو به.

وإذا دخل المنزل تذكر الدخول باليمنى والدعاء.

وإذا أراد أن يصلي حرص على الجماعة؛ لمعرفته بأن رسول الله يريد من أمته المحافظة على الصلوات في جماعة، كما تكرر عنه ذلك ترغيبًا وحثًّا وترهيبًا.

ثم إذا صلَّى الفرض تخيَّل رسولَ الله أمامه، فحاول أن يحاكيه في سكونه وخشوعه وحضور قلبه متذكّرًا قوله: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[2].

وإنْ حصل بينه وبين أحدٍ شِجَارٌ أو خصومة يسارع إلى الإعراض عن التشاحُن والنزاع، ولا يحمل غِلًّا لأحد.

وإذا أكل أو شرب أكل بيمينه؛ لأن حبيبه -صلى الله عليه وآله وسلم- كان يفعل ذلك ويأمر به.

ثم حرص فيها على إدراك التكبيرة الأولى مع الإمام؛ لما رُوِيَ عنه صلى الله عليه وآله وسلم من ترغيبه فيها بقوله: «لِكُلِّ شَيْءٍ صَفْوَةٌ، وَصَفْوَةُ الصَّلَاةِ: التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى»[1].

ثم إذا جَنّ عليه الليل قامَ قبل الفجر ولو بدقائق لما علم من مداومة سيدنا صلى الله عليه وآله وسلم على قيام الله وإطالته ذلك وتضرعه لربه ودعائه وبكائه له.

1 - رواه البزار وأبو نعيم والحديث حسن لغيره كما أشار الحافظ السيوطي 2 - رواه البخاري

فإن تكرَّر منه هذا التذكُّر أصبح حالاً ملازمًا له لا ينفكّ عنه في جميع شؤونه، فإنْ ذهب إلى عمله أتقنه متذكرًا قوْل سيّدنا رسول الله: «إنّ اللَّهَ تعَالى يُحِبّ إذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ»[1]، ولا يقتصر في نيَّته بعمله على مجرد إرادة الكفاية الماديّة، بل يرغب في أن يكون لبنةً مؤثرة في بناء مجتمعه ووطنه وأمّته؛ لأن رسول الله لا يريد أن تكون أمّته عالةً على غيرها.

وإنْ أخطأ في حقه إنسانٌ سامحَه، كما كان ذلك خُلُق حبيبه رسول الله حيث كان لا ينتصر لنفسِه، ولا يغضب لها، فإذَا ضُيِّع حقُّ اللهِ لم يُقَم أحدٌ لغضبه صلى الله عليه وآله وسلم.

ويكون دائم التبسُّم لا يطوي بِشْرَه عن أحدٍ كما كان رسول الله كذلك[2].

فأصبح بذلك شهر ربيع الأول بوابةً لصلاحِ الأمّة؛ بما فيه من مشاعر يُوقدها، وما تُنتجه تلك المشاعر من كثرة ذكْر للحبيب وشمائله وأوصافه، ثم ما يُحدثه ذلك الذكْر من حثٍّ على التخلّق بأخلاق الحبيب.

وبذلك تحصّل للمؤمن في شهر ربيع ولادةً لرسول الله في قلبه، ولادة لزيادة حبه وقربه، ولادة للتشوّق إليه والتلهف لسماع شِيَمِه وأخلاقه وأخباره، ولادة لحسن متابعته والاقتداء به.

فحَرِيٌّ بالمؤمن أن يُحيي هذا الشهر بذكرى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولْيطلب من الله تعالى بصدق ورغبة وشوق أنْ يرزقَه رؤيته في المنام ثم في اليقظة، وقد شوقنا رسول الله إليها بذكْرها وأنها حقٌّ، وما ذلك إلا لدفْعنا إلى طلبِها لما فيها من خيرات، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَخَيَّلُ بِي». ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة"، وقال: «مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ»[3]. وقال: «مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَام فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَة، ولا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»[4].

1 - رواه ابو يعلى وابن عساكر 2 - رواه الترمذي في الشمائل والبيهقي في الدلائل 3 - رواه البخاري 4 - رواه البخاري

ولْيستعِنْ في طلبِه للرؤيا بأربعة خصال -مَنْ أكثَرَ منها أُكْرِم برُؤيَا رسولِ الله لا محالَةَ- أوْصَى بها أهل العلم والمعرفة، هي:

1

كثرة الصلاة عليه: وأقل الإكثار(300) مرة كما قال الإمام أبو طالب المكي، ونقلها عنه الحافظ السخاوي[1]. وقال السخاوي أيضًا: «فإنّ الإكثار من الصلاة من علامات المحبة»[2].

2

التعظيم لسنته: وهذا لا يقتصر على مجرد العمل بالسنة في الظاهر بل مع حالٍ قلبيٍّ من التعظيم للسنة.

3

الخدمة لأمته: فتعيش ولك تفكير في خدمة غيرك، ولا تعيش أنانيًّا.

4

حمل هم دعوته: فمن أحب أحدًا وشعر أن شيئا يهمه يفرحه أو يحزنه: يحمل همه مثله، فيحرص على نشر تعاليمه وبث هدايته بكل ما يستطيعه.

ويعين على ذلك كثرة القراءة في: السيرة، والشمائل وهي الكتب المختصة بالأوصاف الخَلْقية والخُلُقية لرسول الله، والخصائص وهي التي فيها ما ميزه الله به.

ويحاول أن يجعل في بيته في شهر ربيع مجلسًا مع زوجته وأولاده في الشمائل يتذوقون به أوصاف رسول الله، فإن لهذا أثر عظيم على الأسرة وعلى تربية الأولاد وربطهم بالقدوة العليا وتعليقهم به وتشويقهم، في زمن داهمت الأفكار المغلوطة المظلمة منازلنا، ودخلت إلى بيوتنا، وأثرت في عقولنا وقلوبنا، فيكون تكرار ذكر رسول الله حِصْنًا حصِينًا وسَدًّا منيعًا يعصم من الوقوع في متاهات الظلمات.

1 - القول البديع (169) 2 - المصدر السابق (73)

الخلاصة

1. تذكر المولد النبوي من تكر أيام الله ونعمه.
2. فــي ذلك التذكر ربط روحي عال بالحبيب صلى الله عليه وآله وسلم.
3. هــذا الربط ينتــج الاقتــداء والمتابعة لرســول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الصفات والأفعال والأحوال والأقوال.
4. يثمر الارتباط مع الاقتداء الرؤيا لرســول الله صلى الله عليه وآله وســلم فــي الدنيا والمرافقة له في الآخرة بإذن الله وهذا أقصى وأعظم المطالب.

نسأل الله أن ينوِّرَ قلوبَنا بنُورِ حبيبه، وأنْ تشرقَ في بيوتنا وعقولنا شمس طلعته وبهاء منظره، بجاه من نحن في ذكراه.. إنه المعطي الكريم الجواد.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org
دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
مبادرة تزكية وعمارة هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات